

كشف النقاب عن شريعة الغاب

لأبي محمد، عاصم المقدسي



منبر التوحيد والجهاد

* * *

<http://www.tawhed.ws>
<http://www.almaqdese.net>
<http://www.alsunnah.info>
<http://www.abu-qatada.com>
<http://www.mtj.tw>

براءة

- إلى عبید الباسق العصري وحکومتهم وأوليائهم وأنصارهم...

- إلى سدنتهم وأذناهم من الأئمة المضلين...

- إلى هؤلاء جميعاً نقول:

لا نعبد ما تعبدون، لكم دينكم ولنا دين، كفرنا بكم وبدساتيركم وبقوانينكم
وتشريعاتكم التي تعبدونها من دون الله، وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى
ترجعوا إلى دين الله وتتقادوا لشرعه وحكمه وتسلموا تسليماً.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً، ومن يشرك بالله فقد ضلّ ضلالاً بعيداً.

والصلاة والسلام على سيد الموحدين، المأمور في محكم التنزيل باتباع ملة إبراهيم، والإقتداء بدعوة المرسلين، بتوحيد ربّ العالمين، والبراءة من الشرك والمشركين.

وبعد...

فإن من الحقائق التي لا يجادل فيها عاقل، أن لكل زمان فتنته وشركياته التي تتفاوت بالعظم انتشاراً وخطورة.

فقد تنتشر في زمن من الأزمنة أو في بلد من البلدان عبادة أوثان الحجر والشجر، حتى تكون هي فتنة ذلك الزمان أو تلك البلد وشركها العظيم، مع وجود شركيات ومعاصي أقل انتشاراً وأدى خطورة¹.

وقد ينتشر الشرك والخوض في أسماء الله تعالى وصفاته في زمن من الأزمنة، حتى يكون هو فتنة العصر العظيمة وطامته المبينة²، مع وجود فتن ومنكرات ومصائب في الأمة هي أخف خطراً ونكايةً وأقل انتشاراً.

كما قد تنتشر عبادة القبور والأضرحة والأولياء، حتى تكون شعارات ذلك الزمان أو تلك البلد وطامته العظمى، مع وجود غير ذلك من الشركيات والمعاصي الأقل خطورة وانتشاراً³، وهكذا.

وإن من رحمة الله تعالى بالأمة أن يهيئ لها في كل زمان؛ دعاة من عباده فطناً راشدين، يُجددون لها أمر دينها، ويحفظونه من تحريف المحرفين وطعن الطاعنين، ويحاربون هذه الفتن، ويقفون في وجه شركيات زمانهم، يُحذرون الناس منها، ويأخذون بأيديهم إلى واحة التوحيد وروض الإيمان.

¹ - كما كان الحال في الجاهلية الأولى وغيرها.

² - كفتنة خلق القرآن في زمن الإمام أحمد وأمثالها.

³ - كما في زمان الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى، وغيره.

إذا عرفنا ذلك فإن مما لا يقره النقل ولا العقل أن يتشاكل بعض المصلحين في أزمنتهم عن تلك الفتن العظيمة ذات الخطر المستطير بغيرها مما هو أقل خطورة وأضعف انتشاراً، وأن يمتوا الكلام عن ذلك الخطر إمامة لا حياة فيها، بينما يُشعلون ويُضرمون المعارك الضارية بين المسلمين أنفسهم في قضايا هي أقل خطورة بكثير من فتن العصر الداهية، بل هي في الحقيقة تبع للفتن العظيمة، وقد تزول بزوالها.

وإن من الشرك والكفر الواضح المستبين في زماننا هذا؛ تنزيل القانون اللعين منزلة ما نزل به الروح الأمين على خاتم الأنبياء والمرسلين.

بل إنه يكاد يكون أعظم أنواع الشرك التي يجب أن يتصدى لها العلماء والمصلحون في هذا الزمان، خاصة في هذه البلاد التي نعمت بوصول دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه إليها، فلا تكاد ترى قبراً أو ضريحاً تشد إليه الرحال، أو شجرة أو حجراً يُعبد مع الله تعالى، فلا يعقل - والحال كذلك - ولا يستساغ أبداً ما يفعله كثير من الدعاة من الدندنة ليل نهار على شرك القبور والأصنام وما حواليتها، بينما هم قد قبروا الكلام عن شرك العصر وفتنة هذا الزمان من تحكيم قوانين الفرنجة، فلا يذكرون ذلك في محافلهم أو مجالسهم أو كتبهم إلا قليلاً قليلاً.

حتى إن كثيراً من المسلمين ما عادوا يعرفون عن كتب التوحيد والعقيدة ورسائلها إلا أنها كتب تحارب القبوريين والمشعوذين، أما الحكم والتشريع وما إلى ذلك فإن القضية عندهم فيها غيب كبير.

أضف إلى هذه المأساة؛ أن حال كثير من دعاة هذا التوحيد الناقص المبتور لم يقف عند السكوت عن بيان شرك العصر وعدم تحذير الناس من أولياته وحسب، بل إن كثيراً من هؤلاء الدعاة قد أمسوا جنوداً للشرك وحراساً للقانون وشرطة للدستور وحماة للطواغيت، هم لهم جند محضرون، لا يعرف أكثرهم البراءة إلا من المتصوفة وشعوذاتهم، والروافض وباطلهم، وعباد القبور وشركياتهم، وما إلى ذلك - وهذا حق - ولكنك إذا اقتربت من عبید الياسق، وقوانينهم، وظلامهم، وظلماتهم ومواقف هؤلاء الدعاة وطرائقهم معهم، فإنك ستري عجباً، وليس الخير كالمعاينة، يغدو الواحد من هؤلاء يدرس ويُدرّس التوحيد، بل ويحفظه ولا يمنعه توحيده هذا، من إظهار الولاء لأذئاب الفرنجة وعبيد القانون، وإنما كل الناس عنده إخوان يُصاحب أولياء الأوثان، كما يصاحب عباد الرحمن، ويأنس بالمتقلب على عقبه، كما يأنس بالثابت على الإيمان.

يعدو يبيع دينه لأجل وظيفة أو رتبة، وعلى رأسه وفوق أكتافه شعار الطاغوت وشعار حكومة الياسق، ويقسم على الولاء لعبيد القانون وعلى احترام قوانينهم الكفرية، ينتسب إلى الحق ويوالي من خرج عنه وعق فماذا بقي من توحده⁴؟

يظنون أن الدين لبيك في الفلا وفعل صلاة والسكوت عن الملا
وسالم وخالط من لذا الدين قد فلا وما الدين إلا الحب والبغض والولا
كذاك البرا من كل غاو وآثم

وإن تعجب لواقع هؤلاء، فعجبك أشد لمن ذهب يكفر الطواغيت وحكوماتهم من منطلقات الحماس الأجوفا أو التقليد أو غيره، ثم لا يؤثر هذا المذهب والاختيار في مناهجهم وطرائقهم ودعواتهم، بل الحال هو الحال والمداهنة كما هي والسير في ركاب الظالمين مستمر، فماذا استفادوا إذاً من الدندنة والخلاف في التكفير، إذا كان التكفير لا يعدل لهم طريقاً أو يقوم منهجاً، ويا ليتهم لم يكفروا الطواغيت ولكنهم على الأقل كفروا بقوانينهم وعادوا باطلهم وتبرؤوا من ظلماتهم وكفروا عن مدهنتهم.

فهذا زمان امتحن فيه أهل الإيمان وأبلى فيه دعاة الإسلام بقبض العلماء العاملين الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله، ولا يخافون في سبيله سبحانه لومة لائم أو شماتة شامت أو عداوة عدو أو كيد كائد، ويقودون الأمة بالكتاب والحديد، لا بالكتاب وحده ولا بالحديد وحده، كحال كثير من الدعوات.

بل كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية عند قوله تعالى: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ

4 - والتركيز على هذه القضية الهامة - أعني شرك التشريع والقانون - لا يعني أبداً تحقير بقية قضايا الشرك وفروع التوحيد أو وصفها بالقشور كما هو عند كثير من أهل الزيغ والضلال، بل كل ذلك من دين الإسلام ولا مانع من دراسته ومعرفته وتحذير الناس منه ولا بد من التركيز والدندنة على شرك الواقع والمقام وتحذير الناس منه ليل نهار حتى يصبح وصفاً للدعاة يعرفون بذكره، فإذا قيل: (مسلم متدين)، عرف بعداوته لدين عبيد الياسق كما كان المسلم في جاهلية قريش، يعرف بعداوة ألهتهم الباطلة ويوصف بالصائب ويشار إليه بالأصابع ويحذر منه، وما كان ليعقل أبداً، لا عند المسلمين في ذلك الزمان ولا الكفار، أن يجمع امرؤ بين الإسلام وبين موالة أو حب دين وأهله كفار قريش، بل كان المعقول والمعروف والمتيقن أن دخول الإسلام يعني البراءة من الشرك وأهله، ومعاداة باطلهم، بخلاف هذا الزمان الذي اختلط فيه الخابل بالنايل وطمست فيه معالم الولاء والبراء والحب في الله والبغض في الله، فإن كون الإنسان متديناً اليوم؛ لا يعني لزاماً أنه عدو للحكومة الطاغوتية وقوانينها الباطلة الشركية، فقد وجد من أصحاب اللحي الكبيرة والأنواب القصيرة من يعمل في حرس عبيد القانون وجيوشهم وشرطتهم ويقسم على احترام قوانينهم وعلى الولاء لعبيدها وغير ذلك من الطوام، نسأل الله العافية والسلامة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مِنْ نَبْئِهِ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ { [الحديد: 25]، قال: (قوام الدين بكتاب يهدي وسيف ينصر وكفى بربك هادياً ونصيراً) اهـ.

أين هم أولئك العلماء الذين يتقدمون الصفوف ويقودون الأمة ويتصدون للطغاة، إن واقعنا اليوم أليم جداً، فإلى الله وحده نشكو وحشتنا وما حل بهذه الأمة من ذهاب العلماء العاملين، وذهاب الإخوان وقلة الأنصار والأعوان القائمين بتكاليف التوحيد حق القيام، هم اليوم والله في الناس كالشعرة البيضاء في الجلد الأسود، أين العناء لتطلب؟ وأين السمندل ليحلب؟ لم يبق إلا رسوم قد درست، وأعلام قد عفت عليها عواصف الهوى وطمستها محبة الدنيا وحظوظ النفس، إلى الله وحده نشكو هيمنة الضلال وغلبة الهوى وتوافر أسباب الفتن وانطماس أعلام السنن وإمارة السفهاء وحكم الرويضة، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

ولما رأى العبد الفقير إلى توفيق ربه ومغفرته - كاتب هذه الكلمات والسطور - حال الأمة هذه، بين سكوت علمائها وجهل أبنائها وانحراف كثير من دعايتها عن منهاج النبوة، وطفان سلاطينها وكفر قوانينها وتكالب الأمم عليها من كل مكان، رام أداء النصيحة التي بايع أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم عليها تنبيهاً للمسلمين وبراءة من القوانين وعبيد القوانين، عسى أن ينال بذلك معذرة رب العالمين، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

ولعلي أسن بكتابي هذا سنة حسنة للدعاة في إظهار الدين وإعلانه بإبادة العداوة لهذه القوانين الشركية ولمن نافع عنها وحكمها وحماها ووالاها، وبيان وتفصيل النصح للأمة بذكر قوانين عبيد الياسق صراحة بأرقامها، وتسفيهاها وبيان حقارتها وتهلُّهها وتناقضها ونقصها وفسادها وظلمها وجورها، وأن تحكيمها ضياع للأموال والحقوق وهدر للدماء والأرواح والنفوس وإماتة الدين والعقيدة وهتك للأعراض وإفساد للأنساب، حتى تظهر وتتعري حقيقة محبيها وأوليائها علانية لكل واحد من الأمة، وبيان الموقف تجاههم وحكم موالاهم أو التقرب إليهم أو العمل في شرطتهم وحيشهم وحرصهم ومباحثهم وأمنهم أو في أية وظيفة تعينهم على باطلهم وظلمهم أو فيها تطبيق قوانينهم أو نوع موالاة أو احترام لها ولموادها، وغير ذلك مما وفقنا الله عز وجل للتنبية عليه في هذه الورقات، وله الحمد والمنة.

فإن فتنة كهذه، وحالها ما وصفنا من الخطورة والانتشار لا بد أن يفصل النصح فيها للأمة تفصيلاً، ويظهر الكلام حولها علانية لا خفاء فيها ولا تلبس ولا تميع أو ترقيع أو تطييباً للخواطر أو حساباً لتخيلات وتحذيلات الشياطين، بدعوى تقديم مصالح الدعوات ودرء الفتنة والمفسدة عن الدعاة، وما إلى ذلك، فأبي مصلحة أعظم من إظهار دين الله

تعالى وإعلان توحيده وإزهاق وفضح وتعرية الباطل والشرك وكشف زيوفه؟ هل هناك مصلحة في دين الإسلام أعظم من "لا إله إلا الله"؟

أجيبونا وأفتونا يا أصحاب المصالح والاستحسانات، إنها أصل دعوة الأنبياء والمرسلين وقطب رحاها والغاية من خلق الجن والإنس أجمعين، التي اختص بها المؤمنون وجحدتها المشركون وفيها وقع النزاع ولها شرع الجهاد وانقسم العباد، وما بقية الدين إلا فروع تندرج تحت هذا الأصل العظيم، فأى مفسدة أعظم وأشنع من إخماد نور هذه الحقيقة وإخفائها والسكوت عن تشويه الطغاة لها.

يا قوم؛ إن هذا الأمر ليس فرعاً من الفروع أو مستحجاً من المستحبات أو مصلحة من المصالح المرجوحة، لتركه تأليفاً للمبتدئين أو إرضاء لسواد عيون النافرين، إنه جزء أصيل من توحيد ألوهية الخالق تباركت أسماؤه، فسحقاً لكل مصلحة تعارض وتعطل هذا الأصل الأصيل، بل سحقاً للحياة كلها، سحقاً للأجساد والأرواح والآباء والأمهات والأبناء والأهل والإخوان والأموال إن قامت عائقاً في سبيل هذه الغاية العظيمة، والمصلحة الجلييلة.

وإذا لم يضحّ المسلم بذلك كله لأجل "لا إله إلا الله"، فلأَيِّ شيء إذاً تكون التضحيات؟ ولأجل ماذا يخالف وينازع ويحب ويبغض ويعادي؟ وفي سبيل ماذا يقاتل ويقتل إذاً؟ أي نقل بل أي عقل يخالف هذا يا أولي النقول والعقول؟ إنه الأصل الذي كان يُنشر الصالحون من أجله، ويحملون على ألواح الخشب ويمشطون بأمشاط الحديد دون اللحم والعظم، إنه الأصل الذي من أجله عُذّب وهاجر وقاتل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه، إنه الأصل الذي لا زالت من أجله تتدفق شلالات الدم عبر التاريخ الإسلامي، ليس من عهد الصحابة وحسب بل قبل ذلك بكثير، وعلى مدار دعوات الرسل وأتباعهم من المصلحين⁵.

ثم أليست هذه هي ملة أبينا إبراهيم التي أمر نبينا صلى الله عليه وسلم وأمرنا باتباعها في محكم التنزيل، ألمّ يُعلنها إبراهيم عليه السلام والذين معه ويصدعوا بها على

5 - ونذكر هنا تذكيراً عابراً بقصة الغلام المؤمن من أصحاب الأعدود الذي أظهر دين الله تعالى وتوحيده إظهاراً عظيماً دخل الناس على إثره في دين الله أفواجاً معلنين توحيدهم وإسلامهم فشق لهم طغاة ذلك الزمان الأحاديث وأضرموا فيها النيران وحرقوهم تحريقاً، ويحرقنا النبي صلى الله عليه وسلم بتفاصيل خبرهم وقصتهم كما في صحيح مسلم تثبيتاً وحثاً وتعليماً، ولم يسم صلى الله عليه وسلم صدع الغلام وصدع المؤمنين بدينهم؛ فتنة ومفسدة أو ضرراً لمصلحة الدعوة، رغم ما حل بأولئك المؤمنين من عذاب وتقتيل ورغم أنهم لم تقم لهم قائمة أو دولة ولكنهم حققوا نصرة دين الله تعالى وتوحيده وإعلاء كلمته وإعزاز أمره وإظهار البراءة من الشرك وأهله، وهذه هي الغاية، وما الدولة وما الخلافة إلا وسيلة من وسائل تحقيق هذه الغاية العظمى، والأمثلة كثيرة.

رؤوس الملائ في زمانهم، كما أخبر تَعَالَى عنهم: {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَاؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ} [المتحنة: 4].

وتأمل تقديمه سبحانه {الْعَدَاوَةُ} على {الْبَغْضَاءُ} لكونها أظهر، وتأمل قوله تَعَالَى: {بَدَا} أي ظهر وبان.

ومثله قوله صلى الله عليه وسلم: (لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَيَّ الْحَقُّ، الحديث) ⁶.

نسأل الله تَعَالَى أن يجعلنا منهم.

ونختتم هذه المقدمة بكلام نفيس لأحد أعلام الدعوة السلفية في نجد، وهو الشيخ العلامة حمد بن عتيق رحمه الله تَعَالَى، حيث يقول في كتابه القيم "سبيل النجاة والفرار من موالاة المرتدين وأهل الإِشْرَاق": (إن كثيراً من الناس قد يظن أنه إذا قدر أن يتلفظ بالشهادتين وأن يصلي الصلوات الخمس، ولا يرد عن المسجد فقد أظهر دينه وإن كان مع ذلك بين المشركين أو في أماكن المرتدين، وقد غلطوا أقيح الغلط. اعلم أن الكفر له أنواع وأقسام تتعدد بتعدد المكفرات وكل طائفة من طوائف الكفر عندها نوع منه، ولا يكون المسلم مظهراً لدينه حتى يخالف كل طائفة بما اشتهر عندها ويصرح لها بعداوته، والبراءة منه...) انتهى كلامه رحمه الله تَعَالَى.

وهو واضح جلي، فلا يكون إظهار الدين وإعلان ملة إبراهيم وسلوك دعوة الأنبياء والمرسلين في مثل هذا البلد وهذا الواقع بمجرد الدندنة على شرك الأحجار والأشجار أو الأضرحة والقبور أو الصوفية والروافض وحسب، بل لا بد أن يكون في مقدمة ذلك كله الصدع بسفاهة القانون والبراءة منه ومن عبيده وتحذير المسلمين من السير في ركايبهم وركاب حكوماتهم أو العمل معهم في أي وظيفة تعينهم على إقرار واستمرار شركهم ومنكرهم وباطلهم العظيم هذا ⁷.

بل السعي الخبيث في إبطال قوانينهم هذه ونقضها وهدمها، وإعداد أبناء المسلمين منذ نعومة أظفارهم على هذا التوحيد العملي والاعتقادي ببغضها وبغض كل من حكم

⁶ - رواه مسلم وغيره.

⁷ - وهذا لا يتعارض أبداً مع الأخذ بأسباب السرية والكتمان في جانب التخطيط والإعداد، وسيرة المصطفى تمتلئ أدلة على أهمية الاستعانة بالكتمان بل واستعمال الفطنة والحيل والتورية والمعارض في إرباك العدو وإيهامه وغير ذلك مما هو مبسوط في الثابت من السيرة وليس هذا محل بسطه، فهذه قضية، وإعلان الدين وإظهاره قضية أخرى لا تتعارض أبداً مع كتمان جانب الإعداد، وإن توهم كثير من الدعاة خلاف ذلك.

بها كائناً من كان، كل ذلك من أجل إخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، واستنقاذهم من أغلال الشرك إلى عزة التوحيد، والسعي إلى إعلاء كلمة الله تعالى وإعزاز دينه وإعادة راية الجهاد لنصرة المستضعفين ولتحرير أوطان المسلمين وإعادة الخلافة وتحكيم شرعه تعالى في أرضه.

وما الرسالة التي بين يدي القارئ إلاّ محاولة لسلوك هذا الطريق والدعوة إليه ولو بنزع دلو، أو بكف رمل، أو بشطر كلمة، وسميتها:

"تنبيه البرية إلى وجوب الكفر بالدستور ومعاداة أوليائه والبراءة من القوانين الوضعية"، وإن شئت فسمها: "كشف النقاب عن شريعة الغاب".

والمرجو من الملك الوهاب حسن العقبى والمآب، والقبول والإخلاص والثواب، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم
وهو حسبنا ونعم الوكيل

الحمد لله الذي يقذف بالحق على الباطل فإذا هو زاهق.

والحمد لله القائل لنبيه صلى الله عليه وسلم: {وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَم أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِن كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوفُونَ} [المائدة: 49 - 50].

وبعد...

فهذه نصيحة نوجهها إلى إخواننا المسلمين عامة - عوامهم ودعاتهم - في زمان عزّ فيه الناصحون، والتبسَ فيه الحق مع الباطل، وكنتم فيه كثير من المنتسبين إلى العلم ما أمرهم الله تعالى بأدائه وبيانه من مهمّات الدين وأصوله، لا نريد من ورائها أجراً، وأسوتنا في ذلك أنبياء الله حين كانوا يقولون لأقوامهم: {وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِن أَجْرٍ إِن أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الشعراء: 109]، ولا نريد إلا الإصلاح ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً، كما قال نبي الله شعيب لقومه: {وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَأَكُمُ عَنْهُ إِن أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} [هود: 88].

ونقدم بين يديها بهذه المقدمات المهمة...

(1)

توحيد الله هو الغاية العظمى

اعلم يا عبد الله؛ أن الله تبارك وتعالى لم يخلقك عبثاً، قال تعالى: {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ} [المؤمنون: 115]، بل قد خلقتك سبحانه لغاية هامة قد غفل عنها أكثر الناس، قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات: 56].

وليست هذه الغاية؛ عبادة الله فحسب، فإن كثيراً من الكفار يعبدون الله ويعبدون معه آلهة أخرى، كما كان يفعل مشركو قريش، إنما الغاية: عبادته وحده، لذا قال غير واحد من المفسرين {إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} أي: يوحّدون.

فالمطلوب إذن هو توحيد الله تعالى في العبادة بكل أنواعها، ويدخل في ذلك الحكم والتشريع، ولا يتم ذلك ولا يصح إلا بالكفر والبراءة من كل معبود ومتبوع ومشروع سواه، وهذا هو أصل الدين ومن أهم معاني "لا إله إلا الله" التي لا يصير المرء مسلماً إلا بها، وهذه هي الغاية التي بُعث من أجلها رسل الله أجمعون، قال تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} [النحل: 36]، وهو الأمر الذي قد غفل عنه وجهله أكثر الناس قال تعالى: {إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [يوسف: 40].

(2)

التسليم لحكم الكتاب والسنة ونبذ ما سواهما من أهم معاني التوحيد

واعلم كذلك أن من أهم معاني الشطر الثاني من الشهادتين - وهو "محمد رسول الله" - تحكيم الرسول صلوات الله وسلامه عليه، ويكون في زماننا بتحكيم دينه وسنته وأمره ونهييه، فذلك كله وحي من عند الله، قال تعالى: {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ}، وهذا قَسَمٌ من الله تعالى بنفسه العظيمة الجليلة، {حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ} [النساء: 8].

ولا يكفي تحكيم شريعة الله تعالى التي أرسل بها محمد صلى الله عليه وسلم من كتاب وسنة، لا يكفي ذلك وحده وحسب لصحة إسلام المرء وإيمانه، بل لا بد من انشراح الصدر لأحكامها والرضى بها والانقياد والتسليم المطلق لها، قال تعالى في آخر الآية السابقة: {ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}.

(3)

البراءة من كل شرع غير شرع الله من أهم معاني "لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ"

وهذا يلزم منه أن يجدوا حرجاً عظيماً من أنفسهم في كل مشروع ومعبود غير الله تعالى ومن كل شريعة غير دين الله تعالى ومن كل حكم غير حكم الله تعالى، وأن لا يستسلموا له أو يرضوا به أو يحترمواه أو يقدموه أو يوقروه، وإلا كانوا مشركين.

بل الواجب عليهم أن يُؤخروه ويُسفّهوه وَيَكْفُرُوا به ويتبرعوا منه، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يصنع مع أصنام قومه وطواغيتهم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (وهذا الدين هو دين الإسلام، لا يقبل الله ديناً غيره، فالإسلام يتضمن الاستسلام لله وحده، فمن استسلم له ولغيره كان مشركاً، ومن لم يستسلم له كان مستكبراً عن عبادته، والمشرك والمستكبر عن عبادته كافران) ⁸ اهـ.

ويقول إمام الدعوة النجدية الشيخ محمد بن عبد الوهاب، مُعلقاً على ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي مالك الأشجعي عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: (مَنْ قَالَ "لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ" وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَرَّمَ مَالُهُ وَدَمُهُ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ) [رواه مسلم في كتاب الإيمان]، قال: (وهذا من أعظم ما يبين معنى "لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ"، فإنه لم يجعل التلفظ بما عاصماً للمال والدم، بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه يدعو إلا الله وحده حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله. فإن شك أو تردد لم يحرم ماله ودمه...) ⁹ اهـ.

⁸ - الرسالة التدمرية ص 52-53 ومجموع الفتاوى (ج 38 / ص 23-24).

⁹ - الدرر السنية في الأجوبة النجدية ص 103 من جزء الجهاد.

(4)

توحيد الله فرض في جميع أنواع العبادة

ثم اعلم أن العبادة تشمل أموراً كثيرة وأقساماً شتى، قد جهلها كثير من الناس في زماننا هذا، فيجب عليك معرفتها حتى تُوحّد الله تَعَالَى بها كلها، فتكون مسلماً مؤمناً موحداً، فتتال موعوده سبحانه بالمغفرة ودخول الجنة، فهي ليست فقط الصلاة والصوم والزكاة والحج كما يتوهم كثير من الناس، بل يدخل فيها أيضاً النذر والطواف والذبح والدعاء والاستعاذة والاستغاثة والاستعانة فيما لا يقدر عليه إلا الله تَعَالَى كجلب الرزق ودفع الضر والمرض وغير ذلك، فإن ذلك كله من العبادة التي لا يجوز صرفها إلا لله تَعَالَى وحده، وإذا صرف العبد شيئاً من ذلك لغير الله تَعَالَى ومات عليه مات مشركاً.

وقد قال تعالى: {إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ} [المائدة: 72]، وقال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا} [النساء: 48]، وقال سبحانه {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا} [النساء: 116].

(5)

الطاعة في التشريع من أقسام العبادة، والرضى بالقوانين شرك أكبر

واعلم؛ أن من أهم أقسام العبادة التي لا يجوز صرفها لغير الله تعالى أيضاً وإلا كان الإنسان مشركاً؛ الطاعة في التحليل والتحریم والتشريع.

فمن أطاع غير الله تعالى في ذلك، أو أظهر الرضى والتسليم بحكمه وتشريعه وقانونه، وتابعه على ذلك، فقد أشرك واتخذ ذلك المتبوع رباً، قال تعالى: {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ} [الشورى: 21].

جاء في "كتاب التوحيد" للشيخ محمد بن عبد الوهاب قوله: (باب؛ من أطاع العلماء والأمرء في تحريم ما أحل الله، أو تحليل ما حرم الله فقد اتخذهم أرباباً من دون الله) اهـ.

وذكر فيه حديث عدي بن حاتم في قوله تعالى: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ} [التوبة: 31].

وقال تعالى: {وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ} [الأنعام: 121].

روى الحاكم وغيره بسند صحيح عن ابن عباس؛ (أن أناساً كانوا يجادلون المسلمين في مسألة الذبح وتحريم الميتة فيقولون: تَأْكُلُونَ مَا قَتَلْتُمْ وَلَا تَأْكُلُونَ مِمَّا قَتَلَ اللَّهُ؟!، يعنون: الميتة، فقال تعالى: {وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ}).

وانظر كيف أكد سبحانه وتعالى ذلك بأن المؤكدة.

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: (أي حيث عدلتم عن أمر الله لكم وشرعه إلى قول غيره فقدمتم عليه غيره فهذا هو الشرك) اهـ.

ويقول الشنقيطي في تفسيره، عن هذه الآية: (فتوى سماوية من الخالق جل وعلا صرَّح فيها بأن متبع تشريع الشيطان المخالف لتشريع الرحمن مشرك بالله) اهـ.

ويقول تعالى: {وَلَا يُشْرِكْ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا} [الكهف: 26].

يقول العلامة الشنقيطي: (إن متبعي أحكام المشرّعين غير ما شرعه الله أنهم مشركون بالله)، ثم سرد الآيات المبيّنة لذلك، إلى أن قال: (وبهذه النصوص السماوية التي ذكرنا يظهر غاية الظهور؛ أن الذين يتبعون القوانين الوضعية التي شرعها الشيطان على ألسنة أوليائه، مخالفة لما شرعه الله جل وعلا على ألسنة رسله صلى الله عليهم وسلم، إنه لا يشك في كفرهم وشركهم إلاّ من طمس الله بصيرته، وأعماه عن نور الوحي مثلهم)¹⁰ اهـ.

وقال في موضع آخر: (فالإشراك بالله في حكمه كالإشراك به في عبادته، وفي قراءة ابن عامر من السبعة: {ولا تُشرك في حكمه أحداً}، بصيغة النهي).

ويقول: (لما كان التشريع وجميع الأحكام - شرعية كانت أو كونية قدرية - من خصائص الربوبية، كان كل من اتبع غير تشريع الله قد اتخذ ذلك المشرع رباً، وأشركه مع الله)¹¹ اهـ.

10 - انظر أضواء البيان تفسير سورة الكهف.

11 - تفسير سورة الشورى من أضواء البيان.

(6)

شرطان للنجاة والتمسك بالعروة الوثقى الكفر بكل الطواغيت، والإيمان بالله وحده

وخلاصة القول؛ أن المطلوب من كل مسلم - في كل زمان ومكان - لكي يكون مسلماً مُوحِداً، أن يحقق معنى "لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ" الحقيقي، الذي غفل عنه أكثر الناس، وهو ما حوته من شرطي النفي والإثبات، وهما الكفر بكل طاغوت، والإيمان بالله والاستسلام له وحده، قال تعالى: {فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى} [البقرة: 256]، وتأمل كيف قدم سبحانه الكفر بالطاغوت، كما قدم النفي في الشهادة، وما ذلك إلا تأكيداً لأهمية هذه القضية وخطورتها.

قال العلامة الشنقيطي رحمه الله تعالى: (يُفهم منه - أي من الآية السابقة - أن من لم يكفر بالطاغوت؛ لم يتمسك بالعروة الوثقى، ومن لم يتمسك بها فهو مترد مع الهالكين)¹² اهـ.

فإذا علمت هذا، فلا تظنن الطاغوت ما هو إلا أصناماً من حجر، فُتُحَجَّرَ معنى واسعاً، بل الطاغوت يشمل هذا وغيره.

فهو لغة؛ مشتق من الطغيان، وهو مجاوزة الحد، قال تعالى: {إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ} [الحاقة: 11]، فهو كل ما طغى عن حده الحقيقي، فُعبد مع الله تعالى بأي نوع من العبادة المشار إليها آنفاً¹³.

وعلى هذا؛ فلكل زمان ومكان طواغيته المختلفة، ولا يصير المرء مسلماً موحداً حتى يكفر بكل طاغوت، وخاصة طاغوت زمانه ومكانه، ويتبرأ منه ومن عبادته، فهناك من يعبد النار كالجوس؛ فهي طاغوتهم التي لا يصيرون مسلمين - وإن آمنوا بالله تعالى - حتى يكفروا بها، وكذلك من يعبد الشمس أو القمر أو النجوم أو الكواكب فهي طاغوتهم التي لا يصح إسلامهم إن أسلموا حتى يكفروا بها ويتبرعوا من عبادتها، وكذا من يعبد الأصنام كما كان حال كفار قريش وغيرهم، فهي طاغوتهم التي لا يصيرون مسلمين إلا بالكفر بها، وإن أقروا وآمنوا بالله ربهم وخالقهم ورازقهم ومالكهم، كما أخبر تعالى عن كفار قريش: {وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} [الزخرف: 87]، وقال

¹² - ذكره في تفسير سورة الشورى.

¹³ - وبالنسبة للخلق، لا يسمى من عُبد من دون الله تعالى طاغوتاً إلا إذا كان عالماً راضياً، فيخرج بهذا الاستثناء كل من عُبد من الملائكة والأنبياء والصالحين.

تعالى: { قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ } [يونس: 31]، ومع ذلك قاتلهم النبي صلى الله عليه وسلم ولم تُعصم دماؤهم ولم يصيروا مسلمين حتى كفروا بتلك الأصنام وتبرؤوا من عبادتها، وقد تقدم قول الشيخ محمد بن عبد الوهاب حول حديث أبي مالك الأشجعي (مَنْ قَالَ "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ"، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ...).

ويقول الشيخ العلامة حمد بن عتيق رحمه الله في كتابه "بيل النجاة والفكاك من موالاة المرتدين وأهل الإشراف": (اعلم أن الكفر له أنواع وأقسام، تتعدد بتعدد المكفرات، وكل طائفة من طوائف الكفر قد اشتهر عندها نوع منه، ولا يكون المسلم مظهراً لدينه حتى يخالف كل طائفة بما اشتهر عندها، ويصرح لها بعداوتها، والبراءة منه... اهـ).

(7)

من أشنع طواغيت العصر، الواجب الكفر بها الدستور والقوانين الوضعية

إذا فهمت ما سبق، فاعلم أن من أشنع طواغيت العصر في بلدنا هذا، وفي كثير من بلدان المسلمين، هو هذا الدستور وقوانينه الوضعية، التي خضع لها العباد وخنعت لها الرقاب، وعبادتها تكون ياتباعها والتحاكم إليها والتسليم بتشريعاتها والرضى بها.

يقول مجاهد: (الطاغوت الشيطان في صورة الإنسان، يتحاكمون إليه، وهو صاحب أمرهم).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (الطاغوت: فعلوت من الطغيان، والطغيان: مجاوزة الحد، وهو الظلم والبغي، فالمعبود من دون الله إذا لم يكن كارهاً لذلك: طاغوت...)، إلى أن قال: (ولهذا سمي من تحوكم إليه من حاكم بغير كتاب الله: طاغوت) ¹⁴ اهـ

ويقول العلامة ابن القيم: (الطاغوت ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع، فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله) اهـ.

ويقول أيضاً رحمه الله: (من تحاكم أو حاكم إلى غير ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم؛ فقد حكّم الطاغوت وتحاكم إليه) ¹⁵.

ويقول ابن كثير في تفسير قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا} [النساء: 60]، قال رحمه الله - بعد أن ساق أقوالاً في معنى الطاغوت -: (والآية أعم من ذلك كله، فإنها ذمّة لمن عدل عن الكتاب والسنة وتحاكموا إلى ما سواهما من الباطل، وهو المراد بالطاغوت هنا) اهـ.

فكل من تحوكم إليه غير شرع الله؛ فهو طاغوت - مخلوقاً كان أو قانوناً -

ويقول العلامة الشنقيطي في "أضواء البيان" عن الآية السابقة: (وكل تحاكم إلى غير شرع الله؛ فهو تحاكم إلى الطاغوت) ¹⁶ اهـ.

¹⁴ - مختصراً من مجموع الفتاوى 200/28-201.

¹⁵ - أعلام الموقعين.

ويقول الشيخ سليمان بن سحمان في رسالة في "الدرر السنية": (الطاغوت ثلاثة أنواع؛ طاغوت حكم، وطاغوت عبادة، وطاغوت طاعة ومتابعة)¹⁷ اهـ.

ويقول الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين في معنى الطاغوت: (ويشمل أيضاً كل من نصبه الناس للحكم بينهم بأحكام الجاهلية المضادة لحكم الله ورسوله)¹⁸ اهـ.

إذا عرفت هذا؛ فاعلم أنه لن يصح إسلامك وتوحيدك ولن تحقق معنى "لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ" الحقيقي، ولن تجد سبيلك إلى الجنة، حتى تكفر وتنتبرأ من كل طاغوت، وعلى رأس ذلك هذا؛ الطاغوت العصري الذي اتبعه وانقاد له أكثر الخلق وعبوده عبادة تشريع، فرضوا بأوامره ونواهيه وتابعوه واجتمعوا معه على تشريعاته وتواطؤوا على قانونه وعظموه ووقروه ونزهوه وقدّسوه، وأحبوا عبيده وبتلّوهم ووالوهم.

فالواجب عليك - إن كنت تريد الجنة - أن تكفر به وتُعاديه وتنتبرأ منه ومن عبيده وأوليائه وتُبغضهم، وتُبغضهم لأولادك وأهلك، وتعمل وتجاهد طول حياتك من أجل هدمه وإبطاله، وأن لا تستسلم أو ترضى أو ينشرح صدرك إلا لحكم الله تعالى وشرعه وحده، وإلا فالنار، النار!

16 - في تفسير سورة الشورى.

17 - ص 272 من جزء حكم المرتد.

18 - في رسالة له في تعريف العبادة وتوحيدها.